لماذا اختارت انجلترا في الظاهر ان تمنح دعمها وتأييدها للحركة الصهيونية بدلا من القضية القومية العربية ؟ ولماذا رأت بريطانيا في تأييد الدولة اليهودية مشروعا أضمن وأجدر بالتأييد ؟

ان الباعث الاول على التأييد البريطاني للصهيونية كان نابعا على الارجح من الامال المتطلعة الى وضع النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة الاميركية بخدمة قضية الحلفاء(١٣) . مثلما ورد اقتراح يقول بأن هذا التأييد من شأنه ابعاد اليهود الروس عن الحزب البلشفي في روسيا وأبقائهم حلفاء متحاربين الى جانب فرنسا وبريطانيا . فأنجلترا كانت تأمل في ان يحول نفوذ اليهود الروس دون انتقال تجارة الحبوب الروسية، التي كانت بأيدي اليهود ، الى المانيا . والحكومة البريطانية « كانت تفكر بالوضع المتدهور بسرعة في روسيا ، وبالنفور من الحرب لدى قطاع لا يستهان به بين اليهود الاميركيين ، أو بالقيمة الدعائية لاعلان مؤيد للصهيونية . كما انها فكرت بالصفة المستعجلة والملحة للمسألة ، في ضوء التقارير التي افادت بان كل تأخير يطرأ على اصدار ذلك التصريح معناه اتاحة المجال امام الالمان لاضعاف مفعوله وعرقلة سيره »(١٤) .

لقد صرح اللورد كيرزون في مجلس اللوردات بتاريخ ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩٢٠ بأن السبب الرئيسي وراء التصريح كان استراتيجيا(١٥) . وأعلن ونستون تشرشل في مجلس العموم بتاريخ ٤ تموز (يوليو) ١٩٢٢ بان الدافع الاولي كان يهدف الى كسب التأييد الروسي والاميركي(١٦) .

وعلى الرغم من كون هذه الاسباب المعقولة بمثابة العوامل الظاهرة التي أدت الى اصدار تصريح بلفور فان المواقف الموالية للصهيونية لدى رجال الدولة البارزين كانت دافعا حاسما لاتخاذ القرار . ففي شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٦ ، عندما سقطت حكومة الائتلاف الاولى ، وصلت الى مقاعد السلطة فئة جديدة من رجال الدولة وبينهم لويد جورج وآرثر بلفور . وجاء الان الباعث على الصهيونية الاممية في انجلترا من فوق. ان هؤلاء الساسة هم الذين دشنوا أول تصريح رسمي بالسياسة البريطانية الموالية للصهيونية ، لذا يصبح من الضروري دراسة مشاعرهم نحو الافكار الصهيونية وازاء الحركة القومية العربية التي كانت آخذة في الظهور .

تنبع أفكار الاتجاه الصهيوني الاممي من ثلاثة مصادر عامة ، هي التالية :

١ ــ **الرومنطيقية الدينية والتطلع المسيائي** : يعبر الكولونيل ماينرتزهاغن بوضوح تام عن النواحي العاطفية والرومنطيقية في الصهيونية الاممية . فهو يقول : « لقد تأثرت ايما تأثر بالوعد الالهي عن بقاء الارض المقدسة ميراثا ابديا لبني اسرائيل . مثلما تأثرت أيضا بالاعتقاد القائل ان الارض المقدسة مرتبطة على نحو لا تنفصم عراه مع كل من الديانة اليهودية والشعب اليهودي »(١٧) .

انه ينظر الى سياسة بريطانيا الموالية للصهيونية من خلال اعتبارات مسيائية Missianic فيقول : « يعتبرنا الصهيونيون صراحة بمثابة الاداة التي أرسلها الرب لتحقيق الوعد وارجاع الارض المقدسة الى بني اسرائيل »(١٨) . أما الذين كانوا من رجال الكنيسة طيلة حياتهم امثال لويد جورج وآرثر بلفور والجنرال سمطس فقد تأثروا على نحو رومنطيقي بفكرة العودة اليهودية الى الارض المقدسة . ان لويد جورج ، مثلا ، رغم اظهاره بين الحين والاخر لـ « مسحة من العداء للسامية بشكله المألوف والسوقي » ، كان حساسا ازاء الطبيعة التوراتية للحركة . فقد ارتبطت مع ذكريات طفولته والتقاليد المستمدة من مقاطعة ويلز تلك النبوءات التي توقعت ارجاع اليهود الى الارض المقدسة. وسبق له مرة ان صرح بأنه يعرف عن تاريخ فلسطين اكثر مما يعرفه عن تاريخ مقاطعة ويلز(٢٠) . حتى ان اسماء ميادين المعارك حركت خياله وهزت ذكريات طفولته عن تعلم